الاول على سطح القمر كنت مشغولا بكتابة رسائل عاطفية الى البوليس الاسرائيلي ليأذن لك بالسفر الى قرية أهلك !.. في الخارج يحسدونك لانك في وطنك وهم لاجئون. تخبرهم ان منظر الماء لا يروي الظامىء بل يرميه . لا يفصلك عن أرضك الان الا شارع لو قطعته لاعتقلت ، واتهمت بالتسلل والاعتداء على أملاك الدولة . قف على رصيف الشارع وتحول الى شجرة يابسة . بينك وبين الموت حافة سكين . وحين تراهم يحرثون أرضك ينزل المحراث في كبدك ، وحين تصرخ من الغيظ والالم يتهمونك بالعداء للسامية !.. هذا هو الشعر ، والنهر بعيد . تؤثر الشعر على عبور النهر . فيحاسبك النقاد المترفون على اعترافات لم تعلنها ولم تخترها ولا شأن لك بها . الرفض العلني معناه النفي العلني . هكذا تصبح المعادلة مميتة : أن أرفض أعدائي ، بهذا الشكل ، معناه أن أرفض وجودي . تحايل على الصيغة لكي تحتفظ ببقائك . وهكذا تفضل الشعر على عبور النهر . فيتهمك النقاد المترفون بالخيانة القومية . ويتهمك اعداؤك بالعداء للسامية .

قف على رصيف الشارع ، وتحول الى شجرة يابسة . وحين تراهم يروون أرضك بالماء تنهمر الافراح التي يبعثها المطر . المهم ألا تعطش الارض . ولو مت أنت من الظمأ . هكذا كان يفعل جدك . قضى بقية حياته واقفا على رصيف الشارع في محاذاة حافة السكين . وبين تحوله الى شجرة يابسة وبين فرحه بالمطر ونزول المحراث في كبده توقف قلبه ومات . رثاه أخوك الذي يحب الكتابة ووعد الجنازة القادمة بأنها ستكون أكثر حظا من الاولى . كنتم تدفنون الشجرة اليابسة ـ جدك في قبر ما تمناه . الاحياء محرومون من بيوتهم وأرضهم . والموتى محرومون من قبورهم .

وما عدت تخرج الى شوارع المدينة في تلك الايام . تجلس في الغرفة وتنفض الغبار عن أسماء مدنك . اكتشفت فلسطين اسمها ، وعاودك الحب .

٥

ممتلىء بالموسيقى وشهية المفاجآت . تغض طرفا عن الحماقات . هذا منطق اللغة الغنية بتعابير لا تعكس فعلا أو رغبة في الفعل . تشمئز من منظر الكلمات وهي تمارس القتل الجماعي . تقول لاصدقائك ان العرب لا يعنون ما يقولون . هذه لغة .. ثم تذكر أصدقاءك الذين أقنعتهم بالامس أن لك حقا ، بأنهم قتلوك وقتلوك وقتلوك بدون لغة . ليس الضجيج هو المهم .

ثم تحلم بحل آخر : هل الحرب قدر ؟ تصدمك حقيقة أخرى : الاسرائيليون يقولون دائما « لا مفر » . لقد تبنوا حقيقتك واطلقوا عليها تسميتهم . هذا هو وضعك . هذه هي حالتك . فلماذا تعطيهم هذه النعمة . كيف يخرج القاتل الى الشارع مرتديا جلد الضحية ؟.. وكيف دفع الضحية الى الفرح بأنها هي القاتل . لقد قتلتنا الصهيونية المسلحة بالعنف عشرين سنة . ونحن الضحايا نتحدث عن القتل ، ولا نعنيه . هل هي اللغة ؟ هل تقود متطلبات السجع العربي الى مذبحة . لست مخدوعا بالبكاء الاسرائيلي ... هذا صحيح . ولكن ، اعلن ضيقك من الحماقة العربية .

ثم تحلم بحل آخر : حرب بلا موت . وتأتي الزوبعة . تباهى أديب اسرائيلي بأنه شديد الصلة بالموت : مات أبوه في اوكرانيا ، وعمه في المانيا ... و ..... وعاش هو في فلسطين . لست مسؤولا عن موتك يا صديقي . أن يكون الاب شهيدا لا يعطي الابن الحق في أن يكون قاتلا . وأنت قاتل يا صديقي . تحمل حس الانتقام الكوني كله مني . ينتهي اغترابك ليبدأ منفاي ، وتقتلني بسلاح من قتل أباك وعمك ، وبالتعاون معهم . تشتري فدية أبيك بمال تشتري به سيارة وسلاحا وتباهيني بالحضارة ؟ لن